كبيرهم وصغيرهم او كما ورد في الحديث وعليك ايضا برعاية اي مكافاة احسان المحسن
اليك لان المحسن اليك له حق عليك قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافوه فان لم
تكافوه فادعوا له اي ادوه حق احسانه بمال او دعاء مكافاة له عملا بقوله تعالى هل جزاء الاحسان
الا الاحسان وفي بعض نسخ المتن وروية احسان المحسن اي بان تعتبر احسانه وتشكر سعيه ولا تضيعه عليه
وعليك ايضا بالغض وهو اغماض بصرك عن النظر الى اساءة المسيء بالاشتغال بمراقبة
محبوبك الحق ومناجاته وذكره وشكره كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فالمراقب
لله تعالى مشغول بربه عن جميع الخلايق وعليك ايضا بالتغافل اي ان تتغافل عن الزلة
اي زلة الغير وهي العثرة عن تعمد منه والسقطة وهي الوقوع في المعصية سهوا او عمدا فانك
اذا رايت شيا من ذلك قد صدر من احد فتغافل عنه اي تغيبه عن بالك بحيث تكون كانك
لم تشعر به لاشتغالك بالله تعالى عن الغير وسترا لعرض اخيك المسلم وفرارا من الوقوع
في غيبته وحذرا من استحقاده واذا احد اغتابه عندك فانصره بالرد عنه وتكذيب
المغتاب له لان الله تعالى يحب ستر المعصية على عبده ولا يرضى اشاعتها عنه اذ هو تعالى
الستار وليس لهذا الاسم ضد يقابله وهو الفضاح وقد توعد تعالى لمن يحب اشاعة الفاحشة
في الذين امنوا بالعذاب الاليم بقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا
لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة وقال تعالى ان الله لا يحب الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
وقد تكون المعصية في حق المؤمن خيرا من الطاعة كما وردت به الاحاديث القدسية كما ذكرناه
في اخر الباب الثالث مما تقدم ومن ثم قال بن عطا الله رحمه الله تعالى في حكمه رب معصية اورثت
ذلا وافتقارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا وبيان ذلك في كلام المصنف قدس
الله سره هو بان تزل اي تحطى العين يوما اي وقتا بنظرة مثلا في فضول اي تمتد في
امر لا حاجة لها فيه شرعا او يزل اللسان يوما في لفظة بان ينطق بكلمة فضول ايضا
ونحو ذلك من بقية جوارح الجسد فتكظم الغيظ عنهم بان لا تعاملهم بالانتقام بل باستغفار
اي تطلبا لمغفرة من الله تعالى لهم فان الاستغفار يكفر الذنوب ويدر البركات ويقرب
العبد الى حضرة الرب تعالى كما قال تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية والانابة
معطوف على ما قبله اي اطلب لهم ايضا الرجوع الى الله بالذل والافتقار اليه تعالى في جميع الامور
فانه تعالى يقول وانيبوا الى ربكم اي كل واحد منكم يرجع اليه تعالى ويطلب منه المغفرة مما وقع فيه
من الذنوب والزلات فيقبل توبته ويغفر له ذلك لانه تعالى يقبل التوبة عن عباده وهو الغفور
الرحيم بل يبدل سيئاتهم حسنات كما قال تعالى اولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات
هكذا شان اهل الكمال في رعاياهم ولا تكن كمن غمض عينيه اي كفها بنظرة اي
بسبب كونه نظر مرة الى شيء من محاسن الدنيا اعواما اي اخذ يغمض عينيه على ذلك

سنين

سنين عديدة كما يفعله بعض اهل الزهد والورع جهلا منهم بغير علم وصمت اي سكت عن النطق
ايضا ولم يتكلم سنين معاقبة للسانه بسبب كونه تكلم بكلمة فضول من غير استغفار اي صمت ولم
يستغفر الله تعالى ولا اناب اليه زمانا طويلا وهذه حالة العباد والزهاد من اهل الدنيا وليس شانهم
المجاهدة في نفوسهم ومنعها عن شهواتها بالرياضات والعزلة والصمت وحبس النظر عن ما لو فات
الدنيا وقيام الليل وصيام النهار فهم مشغولون بالخلق دون الخالق وقد خرجوا من الدنيا
وهم مع نفوسهم وانتقلوا من كون الى كون وكان حقهم ان ينتقلوا من الكون الى الملكون وهذا
ما تولى يفتح لهم الى حضرات الحق باب وهم اولياء اهل الدنيا وصلحاؤهم وقد شغلتهم عباداتهم
ومجاهداتهم ومكاشفاتهم واحوالهم عن رؤية من هو اقرب اليهم من حبل الوريد وهو الله تعالى الذي
هو معهم اينما كانوا المحيط بهم بذاته وصفاته واسمايه وافعاله واحكامه بل هو تعالى سمعهم الذي
يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به الى اخره كما هو صريح حديث المتقرب بالنوافل فتقوى
العبد كلها لله تعالى والقوة لله جميعا وهذا مقام المقربين من اهل الله فوق مقام الزاهدين
ممن تقدم ذكرهم اذ المقربون يشهدون الحق دون الخلق فهم عنده بحكم التجلي لا عند نفوسهم
وهذا بحث قد شطح بنا فيه الوارد الالهي وليس هنا محله فلنمسك عنه ثم ان الشيخ قدس الله
سره اراد ان يبين مجمل ما قدم ذكره من توقير الكبير ورعاية احسان المحسن فقال واما
توقير الكبير الذي قدمناه ذكره فليس هو في مذهب اهل الباطن للسن اي لكبير السن فيه
حظ اي نصيب مما ذكروا نما المراد بالكبير هنا الكبير بالشرف اي صاحب المقام والمرتبة العالية
في القرب الى الله تعالى والصغير هو ما دون الكبير في المرتبة على هذه النسبة اي نسبة المقام والمرتبة
وعليه يكون كبيرا في السن او صغيرا فان صاحب المرتبة واجب الاكرام والاحترام والتوقير
للمرتبة التي هو قائم فيها وللصغير الترحم واما رؤية اي كملية رعاية احسان المحسن اي مكافاته
كما قدمناه فاذا احسن اليك عامل من عمالك اي عضو من اعضايك الذين هم الحواس
الخمس المعبر عنها في هذا الكتاب بالرعية والاعوان بان قام على الحق معك ولم يخالف فيك
في شيء مما هو منهي عنه شرعا مثل العين لم تنظر للمحرمات والسمع لم يصغ لما لا يعني ونحو ذلك
من بقية الاعضاء اطاعوك وقاموا في خدمتك على منهج التقوى فالك اي تعين عليك
حينئذ ان تجازيه اي للذي اطاعك منهم العطى اي المكافاة على ذلك الاحسان الذي
اسداه اليك وذلك بان تعطيه من الحفظ والاكرام من جنس مقامه وما يليق به اي بكل
عضو كالاكتحال للعين والتحلل للاذن والاستياك للفم واستنشاق الروايح الزكية للانف
وهكذا تحفظ كل جارحة منك مما يضرها او يضعفها او يبطل منفعتها فاداء ذلك كله
واجب عليك لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان
بكم رحيما يشير بذلك الى الجسد الذي هو محل تنزل القوى الروحانية وموضع للنفس الانسانية

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)